

تفسير البحر المحيط

@ 44 قال : وأظن سبب هذا الترتيب : { إِنْ كُنْتُمْ مَّوْءُومِينَ } ، فافهموا هذه الدلائل : فإن لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين ، فلا أقل أن تكونوا من العاقلين ، فاجتهدوا . وقال هناك : { إِنْ سَاءَ فِي خَلْقٍ * السَّمَاوَاتِ } ، وهنا : { فِي السَّمَاوَاتِ } ، فدل على أن الخلق غير المخلوق ، وهو الصحيح عند أصحابنا ، ولا تفارق بين أن يقال : في السموات ، وفي خلق السموات . انتهى ، وفيه تلخيص وتقدم وتأخير . .

{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ } : أي تلك الآيات ، وهي الدلائل المذكورة : { نَتَلَوُهَا } : أي نسردها عليك ملتبسة بالحق ، ونتلوها في موضع الحال ، أي متلوة . قال الزمخشري : والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة ونحوه ، وهذا بعلی شیخاً . انتهى ، وليس نحوه ، لأن في وهذا حرف تنبيه . وقيل : العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه ، أي تنبه . وأما تلك ، فليس فيها حرف تنبيه عاملاً بما فيه من معنى التنبيه ، لأن الحرف قد يعمل في الحال : تنبه لزيد في حال شيخه وفي حال قيامه . وقيل : العامل في العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه المعنى ، أي انظر إليه في حال شيخه ، فلا يكون اسم الإشارة عاملاً ولا حرف التنبيه ، إن كان هناك . وقال ابن عطية : نتلوها ، فيه حذف مضاف ، أي نتلو شأنها وشرح العبرة بها . ويحتمل أن يريد بآيات القرآن المنزل في هذه المعاني ، فلا يكون في نتلوها حذف مضاف . انتهى . ونتلوها معناه : يأمر الملك أن نتلوها . وقرء : يتلوها ، بياء الغيبة ، عائداً على { } وبالحق : بالصدق ، لأن صحتها معلومة بالدلائل العقلية . .

{ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ } الآية ، فيه تقرير وتوبيخ وتهديد : { بَعْدَ اللَّهِ } : أي بعد حديث { } ، وهو كتابه وكلامه ، كقوله : { اللَّهِ } نَزَّلَ أَوْحِينَ الْحَدِيثِ كَرْتَاباً مَّؤْتَشَاتِهَا } ؛ وقال : فبأي حديث بعده يؤمنون { } : أي بعد حديث { } وكلامه . وقال الضحاك : بعد توحيد { } . وقال الزمخشري : بعد { } وآياته ، أي بعد آيات { } ، كقولهم : أعجبنی زید وكرمه ، يريدون : أعجبنی كرم زید . انتهى . وهذا ليس بشيء ، لأن فيه من حيث المعنى إقحام الأسماء من غير ضرورة ؛ والعطف والمراد غير العطف من إخراجة إلى باب البديل ، لأن تقدير كرم زید إنما يكون في : أعجبنی زید كرمه ، بغير واو على البديل ؛ وهذا قلب لحقائق النحو . وإنما المعنى في : أعجبنی زید وكرمه ، أن ذات زید أعجبتة ، وأعجبه كرمه ؛ فهما إعجابان لا إعجاب واحد ، وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدم . وقرأ أبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة ، وقتادة ، والحرميان ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية : يؤمنون ،

بالياء من تحت ؛ والأعمش ، وباقي السبعة ؛ بتاء الخطاب ؛ وطلحة ؛ توقنون بالتاء من فوق ، والقاف من الإيقان . .

{ * } ؛ أي بعد حديث □ وكلامه . وقال الضحاك ؛ بعد توحيد □ . وقال الزمخشري ؛ بعد □ وآياته ، أي بعد آيات □ ، كقولهم ؛ أعجبنى زيد وكرمه ، يريدون ؛ أعجبنى كرم زيد . انتهى . وهذا ليس بشيء ، لأن فيه من حيث المعنى إقحام الأسماء من غير ضرورة ؛ والعطف والمراد غير العطف من إخراجه إلى باب البدل ، لأن تقدير كرم زيد إنما يكون في ؛ أعجبنى زيد وكرمه ، بغير واو على البدل ؛ وهذا قلب لحقائق النحو . وإنما المعنى في ؛ أعجبنى زيد وكرمه ، أن ذات زيد أعجبتة ، وأعجبه كرمه ؛ فهما إعجابان لا إعجاب واحد ، وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدم . وقرأ أبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة ، وقتادة ، والحرميان ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية ؛ يؤمنون ، بالياء من تحت ؛ والأعمش ، وباقي السبعة ؛ بتاء الخطاب ؛ وطلحة ؛ توقنون بالتاء من فوق ، والقاف من الإيقان . .

{ وَيَلُوكُلُ أَفْـَـاكِ أَثِيمٌ } ، قيل ؛ نزلت في أبي جهل ؛ وقيل ؛ في النضير بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن . والآية عامة فيمن كان مضاراً لدين □ ؛ وأفأك أثيم ، صفتا مبالغة ؛ وألفاظ هذه الآية تقدم الكلام عليها . وقرأ الجمهور ؛ علم ؛ وقتادة ومطر الوراق ؛ بضم العين وشد اللام ؛ مبنياً للمفعول ، أي عرف . وقال الزمخشري ؛ فإن قلت ؛ ما معنى ؛ ثم ، في قوله ؛ { ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا } ؟ قلت ؛ كمعناه في قول القائل ؛ . يرى غمرات الموت ثم يزورها .

وذلك بأن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائبها بنفسه ويطلب الفرار منها ، وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها ، فأمر مستبعد . فمعنى ثم ؛ الإيدان بأن فعل المقدم عليها ، بعدما رآها وعابنها ، شيء يستبعد في العادة والطباع ، وكذلك آيات □ الواضحة القاطعة بالحق ، من تليت عليه وسمعها ، كان مستبعداً في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها . { اتَّخَذَ هَـٰذَا هُزُوًا } ، ولم يقل ؛ اتخذه ، إشعاراً بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها □ على محمد صلى □ عليه وسلم (خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ، ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه . وقال الزمخشري ؛ ويحتمل { وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا } ، يمكن أن يتشبث به المعاند ويجعله محملاً يتسلق به على الطعن والغميرة ، افترضه واتخذ آيات □ هزواً